البـــاب العاشـــر

فيمن حَمِد التطفيل ، واحتَجّ لأهله وذكَرَهم بالجميل

- من بنو طفيل هؤلاء ؟!
- الجـــذور !
- الداخل إليها لص والخارج مُغير !!
- هٰهنا .. هٰهنا .. دعوة من أصحاب الدور .
- أبو نُواس والخصيب .
- حرمة الطفيلى وحرمة الندامى .
- يالذة التطفيل دُومى !!

الباب العاشر

(فيمن حمد التطفيل ، واحتج لأهله ، وذكرهم بالجميل)

هؤلاء والله قوم كرام :

قال الأصمعي[1] : سمع أعرابي قوما يذكرون الطفيليين ؛ فقال : من بنو طُفَيْل هؤلاء ؟

فقيل : قوم كرام يأتون الطعام من غير أن يُدْعَوْا إليه !

فقال : هؤلاء ــ والله ــ قوم كرام !

الجــذور !!

وقال علي بن الحسن الجَلاّب :

قال رجل لأبيه ــ وكان يتطفَّل : ياأبت ! أما تستحي من التطفيل ؟!

قال : وما أنكرتَ منه ؟

فقد طَفَّل بنو إسرائيل فقالوا :

﴿أنزل علينا مائدة من السماء﴾[2]

---

(١) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك من مشاهير اللغويين عند العرب ، ولولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم .

(٢) الآية ١١٤ من سورة المائدة . حيث قالوا لنبيهم : **﴿هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾** أما عيسى ــ عليه السلام ؛ فقد قال لهم : **﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾** . [١١٢/ المائدة] .

ولكنهم ــ كعادتهم ــ استمروا فى الطلب قائلين : **﴿نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾** [١١٣/ المائدة] فلم يجد عيسى ــ عليه السلام ــ أمام إلحاحهم مناصا من سؤال ربه قائلا : **﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة ..﴾** الخ الآية . فلزم التنويه ، حيث جاءت عبارة المصنف غير دقيقة !!

الداخل إليها لصّ والخارج مُغِير !!

وقال أحمد بن الحسن المقرى :

قيل لبنان[1]: مَنْ دخلَ إلى طعامٍ من غير أن يُدْعَى إليه دخل لصاً ، وخرج مُغِيراً !!

قال : ما آكله إلا حلالاً .

قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : أليس يقول صاحبُ الوليمةِ للخباز :

زِدْ فى كلِّ شىء ؟!!

وإذا أراد أن يطعِمَ مائةَ قال :

قَدِّر لِمائةٍ وعشرين؛ فإنه يجيؤنا من نريد ومن لا نريد، وأنا ممن لا يريد !!

هٰهنا .. هٰهنا دعوة من أصحاب الدار :

وقال محمد بن سعيد : قلت لطفيلىّ مرة

ويلَك ! تأكل حراما ؟!!

قال : ما أكلت إلا حلالا !

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى إذا دخلت دار القوم ، قصدت باب النساء ، فيقولون .

هٰهنا .. هٰهنا !!

فقولهم هذا دعوة !! ؛ فما آكل إلا حلالا .

أبو نُوَاس والخصيب !

وعن ابن يزيد قال :

حدثنى سيدى ابن صدقة قال :

---

(١) بنان هو عبد الله بن عثمان. كان أصله مروزيا ، وهو بغدادى الدار . وتضم كتب الأدب أخبار تطفيله ، وقد نقش على خاتمه : «**مالكم لا تأكلون**» .

كنّا على سطح نُغَنّي بمصر ، ومعنا رُفْقَةٌ يريدون الخصيب[1] ، فدعا أبو نُوَاس[2] بدواة ، وكتب إلى الخصيب :

قد اسْتَزَرْت[3] عُصْبَةً فَأَقْبَلُوا ... وعُصْبَةً لم تَسْتَزِرهُمْ طَفّلُوا[4]
رَجَوْكَ فى تَطْفيلِهم وأقبلوا ... وللرجاء حُرمةٌ لا تُجْهَلُ
قابِلْهُمُ خيراً فأنت الأفضلُ ... وافعلْ كماَ كنتَ قديماً تفعَلُ

حُرمة الطُّفَيْلىّ وحُرْمة الندامى :

وقال ظفر بن عبد الله الهروى :

إنّما الطفيلىَّ له حُرْمةٌ ... زادت على حُرْمة نُدْمانى[5]
لأنه جاء ولم أدْعُهُ ... مُبْتَدِئًا فيه بإحْسَانِ
مائدة للناس منصوبةٌ ... فليأتها القاصى مع الدانى[6]
أحْبِبْ بمَنْ أنساه لا من قالا ... هو يحبنى ليس ينسانى

يالذّة التطفيل دومى !!

وقال الوليد بن مَعْن الموصلى[7] :

لذةَ التطفيلِ دُومى ... وأقيمى لا تَرِيمى
أنتِ تشفين غَليلى ... وتسلين همومى

---

(١) الخصيب بن عبد الحميد أمير مصر على الخراج .

(٢) أبو نُواس هو الحسن بن هانىء ، ولد بالأهواز فى أوائل العقد الخامس من القرن الثانى للهجرة . رحل إلى مصر ومدح الخصيب أمثلا فى نواله .

(٣) استزرت : دعوتهم لزيارتك .

(٤) طفّلوا : دعَوْا أنفسهم .

(٥) النُّدْمان : جمع نديم ، وهو المجالس على الشراب . والمسامر حيث يحلو الحديث ليلا .

(٦) القاصى البعيد ، والدانى القريب . أى فالدعوة موجهة للجميع .

(٧) وقال الوليد بن معن الموصلى : قال الحافظ المؤرخ الخطيب البغدادى إنه قال : أُنْشِدْتُ لبعضهم ، وهذا يتفق مع الخبر الآتى عن «بنان» أنه أنشد هذين البيتين ومعهما سبعة أخرى بعدها .

ومما ينسب لبنان :

لـــذةَ التطفيـــل دُومـــــى ... لا تَرِيمـــى[1] وأقيمـــــى
أنـــتَ تشـفينَ سِقَامِـــى ... وتجليـــــن همومـــــى
يا صَفِـيَّ النَّفْـــسِ يَـــا ... خَيْـــرَ جَليـــسٍ ونَدِيـــمِ
قـل إذَا مَـا جِئْـتَ قومـاً ... زَائِـــراً : قولَ حَليـــم
قـد أتيناكـم بحســن الظـ ... ـنّ والـــودّ القَدِيـــم
مـا نخـافُ الرّدَّ والحِرْمَـا ... نَ إلاّ مِـــنْ لَئِيـــم
نحـن قَـــوْمٌ وَهَـب اللّـ ... ـهُ لـنا فَضْـلَ الحُلُـومِ[2]
قـد بَلَوْنا النَّـاس مـا ... جَاهِـلُ أَمْـرٍ كعَلِيـــم[3]
لَيْـتَ مَـنْ لاَمَ على التّطفـ ... ـيلِ فى نـارِ جَحيـــم

---

(١) لا تريمى : لا تزولى ، ولا تبعدى ، وإذا كان النهى عن الشىء أمر بضده ، فقد أمرها أن تقيم وتستمر .

(٢) الحُلُوم : الرِّشْد ضِدّ الطيش ، وجمعه أحلام ، وحُلوم . وقد يُقابِل به الجهل والسّفه ، ويُراد به الصّبر والأناة والسكون مع القدرة والقوة ، ويُراد به العقل أيضا ، وفضل الحُلُوم : مزيد حكمة وعقل .

(٣) بلونا الناس : اختبرناهم وجربناهم .